الإنشاء غير الطلبي فى شعر السقاف

نجاح ثوانى محمد الزايدى

الإنشاء غير الطلبي

المطلب الأول: القسم

القسم لغة:-

قال ابن منظور : وأقسمت ، حلفت وأصله من القسامة ... والقَسامة الذي يحلفون على حقهم ويأخذون[1].

واصطلاحاً : هو مصدر ليس بجارٍ على فعله؛ إذ قياسه الإقسام، ويرادفه الحلف والإيلاء. وهو جملة ملفوظة كأقسمت بالله أو مقدرة بـ (بالله)، وهو جملة إنشائية كما ذكر أو خبرية كـ (أشهد لعمرو خارجٌ) و (علمت لبكرٌ داخلٌ) ، اسمية (أنا حالفٌ بالله) أو فعلية كما ذكر، جيء بها لتوكيد جملة خبرية أخرى تالية غير تعجب اسمية أو فعلية ترتبط إحداهما بالأخرى)[2].

فالقسم هو الحلف بالله عز وجل وهو كثير الاستعمال عند الناس و لا يكاد يخلو حديث منه وله طرق عدة كاستعمال ألفاظ القسم أو الحروف التي تدخل على المحلوف به وألفاظ أخرى أقل استعمالاً (كأيمن الله) .

وقد احتوى ديوان السقاف على اغلب أنواع القسم وذكر في مواضع كثيرة نبداها بالقسم (بالله) جل وعلا لفظاً ظاهراً باستعمال حروف القسم .

---

[1] لسان العرب مادة (قسم).

[2] شرح الحدود النحوية / ١٤٣.

حرف القسم ﴿الباء﴾:

إن القسم بالله تعالى هو أعظم ما يكون، ولا يجوز الحلف بغير الله تعالى

قال السقاف:-

حلفت بأن لها ميزة وما كنت بالله بالحالف[٣]

وقوله:

فمتى يفيق الضائعون من الضياع؟

قل لي بربك ياضحيةْ[٤]

أقسم الشاعر بالله تعالى باستعمال حرف القسم (الباء) التي هي أصل حروف القسم، قال المرادي (وَهي اصل حروف القسم ولذلك فضلت سائر حروفه بثلاثة أمور:-

أحدها : أنها لا يجب حذف الفعل معها بل يجوز إظهاره نحو اقسم بالله .

والثاني : أنها تدخل على المضمر نحو بك لا فعلنَّ.

والثالث : أنها تستعمل في الطلب وغيره[٥].

ومثله قوله :-

بالله لولا العراق الشهم لارتفعت بيارق الحقد من حجر إلى حلبا!! [٦]

---

[٣] نكبة الكويت، ص٥٣.

[٤] شعر أحمد السقاف ، ص١٠.

[٥] الجنى الداني / ١٠٨، وينظر مغني اللبيب ١/١٠٥-١٠٦ والأشباه والنظائر ٢/١٠٥-١٠٦.

[٦] شعر أحمد السقاف، ص٢١.

ويسمى هذا القسم الذي يكون معه طلبٌ بـــ(القسم الاستعطافي) نحو بالله هل قام زيدٌ[٧].

ومن القسم الاستعطافي قوله :-

لا تحسبونا نسيناكم فحالتنا بالله حال لها الجلمود ينفطر[٨]

والاستعطاف هو طلب يرد مع القسم كأن يكون أمراً أو استفهاما.

حرف القسم الواو :-

إن من حروف القسم الأخرى (الواو) وهو حرف يجر المحلوف به بعده ولا يجوز أن يأتي إلا مع الاسم الظاهر. قال ابن هشام[٩]: (واو القسم لا تدخل إلا على مظهر ولا تتعلق إلا بمحذوف نحو ﴿ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ يس /٢[١٠].

وفي الديوان جاء حرف القسم الواو مع الظاهر فقط وهو لفظ الجلالة (الله) نحو قوله:-

والله إنك قد حللت أعز شيء في النواظر[١١]

والقسم بالله جل وعلا لتعظيمه، وتوكيد ما جاء بعده من كلام، وقصد الشاعر بالقسم في البيت توكيد جوابه (إنك حللت)، ويسمى هذا القسم الأخبار

---

[٧] ينظر الإيضاح في شرح المفصل٢/٣٢٢، والأشباه والنظائر ١٠٦/٢.
[٨] نكبة الكويت، ص٥٢.
[٩] مغني اللبيب ٣٦١/٢.
[١٠] مغني اللبيب ٣٦١/٢.
[١١] شعر أحمد السقاف ، ص٢٦.

وليس للقسم في جوابه عملٌ ولذلك يمكن حذفه من الكلام[١٢] ، وجملة القسم اسمية تصدرت بلفظ الجلالة (الله) وهو اسم، ومثل ذلك تماماً قوله :-

والله ما نسيت شارع الرشيد[١٣]

جاء لفظ الجلالة في البيت مجروراً بحرف القسم الواو الذي هو بدل من الباء كما اتفق على ذلك النحويون؛ لقرب مخرج الواو من الياء ، ومن المعروف أن الواو ليست من حروف الجر، ولكنها جاءت لتخص القسم بحرف لا يكون لغيره من المجرور[١٤]. وجملة جواب القسم في البيت جملة فعلية فعلها ماضٍ منفي بـــ (ما) ، (ما نسيت) وهذا هو الصحيح .

وجاء على مثله قوله:

فواللهِ لو مرت بشيخ معمر عظيم التقى يوما لحل به لمم[١٥]

وقوله:

وأن كويتنا سيف فلا والله تبتلعُ[١٦]

وقوله:

هذي وربك فرصة جاءت إليكَ[١٧]

---

(١٢) ينظر الإيضاح في شرح المفصل٢/٣٢٣، الأساليب إنشائية / ١٦٦.

(١٣) شعر أحمد السقاف ، ص٣٠.

(١٤) ينظر علل النحو / ١٧١، شرح اللمع ٢/٥٦٩، رصف المباني / ٤٢٠.

(١٥) شعر أحمد السقاف ، ص٣١٨..

(١٦) نكبة الكويت ، ص١٤.

(١٧) شعر أحمد السقاف ، ١٦.

وقوله:

كانت وفاء فوق ما يرجو الحمى فهما وربِّك في الفدى إعصار[١٨]

وقوله:

لا وربي آن الأوان أيا عُـــ ـــرب فكونوا الأسود في الآجام[١٩]

وقوله:

لا وربي هذا أجَلُّ من القصدِ[٢٠]

لَعمري :-

ومن أنواع القسم الصريح ما كان محذوف الخبر وهو قولنا (لَعمري) بلام مفتوحة. ولعمرك قسم ودعاء وهو العَمْر ومعناه : قسم بالبقاء)[٢١] ، وجاء في شعر السقاف قوله :-

لعمري لقد أصبحت في السماء يُردد أحبارها من وصف[٢٢]

"فعمري مبتدأ واللام فيها لام الابتداء والخبر محذوف تقديره قسمي أو حلفي وحذفوه لطول الكلام بالمقسم عليه ولزم الحذفَ"[٢٣].

---

(١٨) نكبة الكويت ، ص٣١

(١٩) شعر أحمد السقاف ، ٢٠٣.

(٢٠) شعر أحمد السقاف ، ٣٥٧.

(٢١) ينظر حروف المعاني / ٦٧.

(٢٢) نكبة الكويت ، ص٧٣.

(٢٣) شرح المفصل ١/٩١.

واللام في لعمري ليست لام القسم لأننا نقول : لعمرك لأفعلن وهي في موضع الابتداء مجرداً عن القسم لامتناع دخول القسم على القسم[٢٤].

ومثل ذلك قوله :-

ويكفي لعمركِ بعض الخشوع إذا كنت ترعين ما استودعا[٢٥]

ولا فرق بين لَعمُرك ولَعمري ولعمُر الله في توجيه الإعراب، سوى الاختلاف بالقسم به بعد (العمر). وقد أكثر السقاف من استعمال هذا القسم فهو تارة يقسم بـــ (لعمري) وتارة بـــ (لعمرك) .

القسم المضمر :-

قد يحذف المقسم به من الكلام استغناء عنه ويبقى ما يدل عليه كمجيء اللام الموطئة للقسم قبل الشرط للتنبيه على القسم المحذوف، ومن ذلك قوله :-

لئن شاقها منزل الصالحين

ومثوى النبيين والأولياء

فإن لها مسكنا في الحنايا[٢٦]

وقوله :-

لئن طال ليلك بالغاصبين فقد آن للفجر أن يطلعا[٢٧]

---

[٢٤] ينظر البغداديات / ٢٣٧.

[٢٥] شعر أحمد السقاف ، ٣٣٨.

[٢٦] شعر أحمد السقاف ، ٤٢.

[٢٧] شعر أحمد السقاف ، ١٢١.

وقوله:

ولئن كنت قد شكوت من الوجـ ـد، فحالي حالٌ يبرر عذري[٢٨]

فقد جاءت اللام الموطئة للقسم للتنبيه على إضمار قسم محذوف، أما الجواب فهو جواب للشرط لاقترانه بالفاء. ولو كانت بغير الفاء ودخلها اللام كانت جواباً للقسم.

وكيفما نرى فان هذه اللام الموطئة للقسم قد لا تفيد مغنى القسم ولكنها تؤكد ما بعدها ففي قول الشاعر :-

لئن قيل في الجِدّ النجاحُ لطالبٍ لقلَّ غَنَـاءُ الجِدّ ما لم يكن جَدُّ[٢٩]

فليس ثمة قسم في البيت وإن وردت اللام الموطئة للقسم ،ومما يؤيد هذا الرأي أن الدكتور فاضل السامرائي يرى أن مثل هذه الحالة ليست قسماً ولكن لإفادة التوكيد وما جاءت فيه اللام الموطئة مع الشرط أكد مما لم تكن فيه اللام ، والقسم الصريح أكد منهما، وكذلك كل ما فيه (لقد) فليس على سبيل القسم والحق أنه توكيد للإثبات فقط كما تؤكد الأمر والنهي والاستفهام والنفي بنون لتوكيد، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ آل عمران/ ١٠٢[٣٠]، وفي هذا الرأي من السداد ما يرفع عن القسم أشياء كثيرة تخرج به عن معناه في تعظيم المقسوم به وتوقيره.

---

[٢٨] شعر أحمد السقاف ، ٣٠٦.

[٢٩] ينظر: ديوان ابن زيدون / ٣٥٥.

[٣٠] ينظر معاني النحو : ٤/٥٥٨-٥٦٣.

اللام التي يتلقى بها القسم :-

هي لام الابتداء كما ذكرنا سابقاً وتتصل مع قد كثيراً وهو الصحيح عند دخولها على الفعل الماضي وجاء مطابقاً لذلك قوله:-

لقــد خانــوا قضيتنا وحبل إخائنــا قطعــوا[٣١]

وقوله :-

لقد وقفــوا مع الباغــي وتحت حذائــه ركعـــوا[٣٢]

والنحويون يقدرون قسماً محذوفا جوابه لقد في الأبيات.

القسم بالفعل :-

إن جملة القسم أما أنْ تكون اسمية وقد فصلنا ذلك وأما أن تكون فعلية باستعمال أحد افعال القسم كأقسم أو أخلف أو أشهد ...مثال ذلك قوله:

أقسم يا بغداد بالأنفال والفلق[٣٣]

وقوله:

أقسمت بالله إن الحق منتصر لن يرهب الحقُّ معتوها ولا صنما[٣٤]

وقوله:

فأنتِ وأقسم بالناعسين لأجملُ مما رآه البشر

---

(٣١) نكبة الكويت، ١٣

(٣٢) نكبة الكويت، ١٣

(٣٣) شعر أحمد السقاف، ص٣٢.

(٣٤) شعر أحمد السقاف، ٢٥٢.

وأنتِ وأقسم بالمائجين لملء الفؤاد وملء النظر

وأنتِ أقسم بالثائرين على صدرك المرمري الأغر[٣٥]

وجملة القسم هي جملة (أقسمت) المتكونة من فعل وفاعل.

القسم بكلمتي ﴿قسما، ويمينا:-

قسما يا عراق ما كان في القو م، وقد أزمعوا الهجوم رشيد[٣٦]

وقوله:

فاعذريني يا بلادي إنني قسما مذ راعك العدوان متعب[٣٧]

وقوله:

لو لم يقم حكم الطغاة لأصبحت قسما بلاد الرافدين جنانا[٣٨]

وقوله:

قسما بأولى القبلتـــ ـين لنزحفن غدا كراما[٣٩]

وقوله:

أنت عندي كل الحياة وإني قسمًا ما أسأت والله يشهد[٤٠]

---

[٣٥] شعر أحمد السقاف، ٤٠٥.

[٣٦] نكبة الكويت، ١٦.

[٣٧] نكبة الكويت، ٢٤.

[٣٨] نكبة الكويت، ٣٩.

[٣٩] شعر أحمد السقاف، ١٥٧.

[٤٠] شعر أحمد السقاف، ٢٨٠.

وقوله:

قسما ديجول بآلاف من تلك الضحايا[٤١]

وقوله:

يمينا فلسطين لن نركعا أمام اليهود ولن نخضعا

يمينا تجلجل في الخافقين وتمتلك القلب والمسمعا

يمينا يرددها المسلمون وتشغل في السعي من قد سعى[٤٢]

وقوله:

يمينا لنا النصر المرجى وفي غد على تل أبيب سوف يرتفع العلم[٤٣]

وقوله:

ويمينا وما حلفت جزافا أنت أغلى من ناظري وعمري[٤٤]

---

[٤١] شعر أحمد السقاف، ٢٩٧.

[٤٢] شعر أحمد السقاف، ١٢١.

[٤٣] شعر أحمد السقاف، ٢٤٨.

[٤٤] شعر أحمد السقاف، ٣٠٤.

المطلب الثاني / التعجب

التعجب لغة :-

هو : العُجْبُ والعَجَبُ : إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده ... وقال ابن الأعرابي : النظر إلى شي غير مألوف ولا معتاد[٤٥].

وأما في الاصطلاح فقد قال ابن عصفور : استعظام زيادة في وصف الفاعل خفي سببها[٤٦] وقال ابن كمال باشا : "التعجب انفعال النفس عند إدراك ما خفي سببه عنه"[٤٧].

أي أن التعجب هو انفعال نفسي تبدو علاماته ظاهرة على الوجه من آمر حصل على غير العادة كأن تبدي تعجبك ، ممن يصدُقك القولَ دائماً ويأتي فيكذب عليك فتستعظم ذلك الأمر منه.

وللتعجب صيغ كثيرة تفيد الأخبار بالتعجب وهذه الصيغ سماعية لا يقاس عليها منها (لله درُّه فارساً) و (سبحَان الله) و (يالَه من جبان) و (اعجبوا لزيدٍ شاغراً) و ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾[البقرة: من الآية٢٨][٤٨] ، وقد وردت عشرات الأمثلة من هذه الصيغ في ديوان السقاف وهذه الصيغ إخبارية تحتمل الصدق والكذب وهذا ليس موضع دراسة الأخبار، وهه يعكس الصيغ القياسية التي تعتمد الإنشاء، ومن أمثلة ما جاء في شعره من الصيغ السماعية قوله :-

---

[٤٥] لسان العرب : مادة (عجب).

[٤٦] المقرّب / ٧٧.

[٤٧] أسرار النحو / ٢٥٤ ، وينظر شرح الحدود النحوية / ٩٣.

[٤٨] ينظر همع الهوامع ٢/٩٢.

يا لها من فجيعة إن رضينا بمصير ولا مصير السوام[٤٩]

وقوله :-

وعجيب أن يذيقونا الردى وهوانا قد كان أعجب[٥٠]

وقوله:

وأعجب ما رأيت سكوت قوم حسبت شعورهم أرقى وأسمى[٥١]

وقوله:

عجبا للسماء لا تضرب الأر ضَ، وللشم لا تميد وتنهد!! [٥٢]

وقوله:

عجبت للغرب منحازا تُسيِّره عصابة تتهادى للردى قدُما[٥٣]

وقوله:

عجبي له فالحرب دائرة ما مسنا وهن ولم نكسر[٥٤]

وأما الصيغ القياسية (ما أفعله) و (أفعل به) فهي محط دراستنا في هذا البحث لأنها تفيد الإنشاء :

---

[٤٩] شعر أحمد السقاف، ٢٠٥.

[٥٠] نكبة الكويت، ٢٣.

[٥١] نكبة الكويت، ٥٥.

[٥٢] شعر أحمد السقاف ، ٦٩.

[٥٣] شعر أحمد السقاف ، ٢٥١.

[٥٤] شعر أحمد السقاف ، ٢٢٤.

أولاً.

(ما أفعله) :-

إنَّ هذه الصيغة هي صيغة قياسية لإنشاء التعجب ومثلها أيضا صيغة (أفعل به). قال ابن كمال باشا : وخرج بقولنا لإنشاء التعجب، عجبت، وتعجبت لأنهما أخبار وللتعجب... صيغتان مقيس عليهما إحداهما ما أفعله والأخرى : أفعل به)[٥٥].

ولم ترد صيغة ما أفعله في الديوان إلا أربع مرات في قوله :-

فما أعذب الوصل بعد العناء[٥٦]

والمعنى : أنه يعجب من عذاب الوصل بعد العناء وقد كان الوصل ممدودا من قبل.

وقوله:

فما أجمل الصدق عند الرواة وما أطيب العدل ما أطيبه[٥٧]

وقوله:

خلقت للحب وآهاته ما أجمل الحب بآه وآهْ[٥٨]

ولو بحثنا في آراء النحويين في تخريج كلمة (ما) لوجدنا أنهم اختلفوا فيها، فمنهم من قال إنها موصولة، ومنهم من قال إنها استفهامية تضمن معنى

---

[٥٥] أسرار النحو / ٢٥٤- ٢٥٥.

[٥٦] شعر أحمد السقاف ، ٤٩.

[٥٧] شعر أحمد السقاف ، ١٠٦.

[٥٨] شعر أحمد السقاف ، ٣٨٨.

التعجب، وقال آخرون إنَّها نكرة موصوفة وما بعدها صفة لها[٥٩] ، وذهب سيبويه إلى أنها نكرة تامة بمعنى شيء[٦٠]، وأيده ابن عصفور وابن يعيش وابن هشام[٦١]. وأما الأستاذ عباس حسن والدكتور فاضل السامرائي فيريان أنه لا داعي لهذه التعبيرات في إعراب (ما) وإنما يُجزي عن ذلك كله أن تكون (ما) تعجبية والتعجب معلوم وهو انفعال قديم في نفس البشر وضعت له صيغة ابتدائية للتعبير عنها قبل كثير من التعبيرات[٦٢].

وهذا هو الرأي الراجح لأننا لو أردنا الاستفهام لاستعملنا (ما) الاستفهامية ولو قصدنا بها الموصولية لبان ذلك من سياق الكلام ... وإنما قصدنا بها التعجب واستعملناها لهذا المعنى فلا داعي للتطويل والحشر بين الموضوعات والأصح أن تقول أنّ (ما) تعجبية في محل رفع بالابتداء.

ولو عدنا إلى قول الشاعر (ما أقبَح الدنيا) نجد أن فعل التعجب هو (أقبح) واختلف النحويون في هذا الفعل بين اسميته وفعليته والصحيح ما ذهب إليه البصريون من أنه ماض جامد لإنشاء التعجب واستدلوا لذلك بقبوله نون الوقاية ولزومه الفتح وانه يعمل النصب في المعارف كما يعمله في النكرات[٦٣].

وجملة (أقبح) وفاعلها المستتر في محل رفع مبتدأ وأما (الدنيا) فهي منصوبة بـــ (أقبح). قال أبو حيان في قولهم (ما أظرف زيداً) وانتصب زيد بأظرف فرقاً بين الخبر والاستفهام والفتحة في أفعل فتحة إعراب وهو خبرٌ عن

---

(٥٩) ينظر شرح الرضي على الكافية ٣٤١/٢، همع الهوامع ٩٠/٢، الأساليب الإنشائية / ٩٦.

(٦٠) ينظر الكتاب ٧٢/١.

(٦١) ينظر المقرب /٨١، شرح المفصل١٤٢/٧، شرح قطر الندى / ٣٤٨.

(٦٢) ينظر النحو الوافي ٣٤٣/٣، معاني النحو ٦٥٢/٤-٦٥٣.

(٦٣) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف : ١٢٦/١-١٣٢.

(ما)، وإنما انتصب لكونه خلاف المبتدأ الذي هو (ما) إذ هو في الحقيقة خبر عن زيد وإنما آتى بها (ما) ليعود عليها الضمير)[٦٤]، أي أن زيداً مفعول به لفعل التعجب ومثله (الدنيا) فهي منتصبة بالفتح. واستعمالنا لـــ (ما) في التعجب لصرف الأذهان أن ما سيذكر بعدها آمر عجيب مستعظم في النفس.

[٦٤] ارتشاف الضرب : ٣/٣٣-٣٤، وينظر أسرار النحو / ٢٥٥.

ثانياً: أفعـــــلْ به :-

لا يقتصر التعجب قياساً على صيغة واحدة بل يشترك فيه أكثر من صيغة، وقد تحدثنا عن صيغة (ما أفعله) وفصلنا القول فيها : وأما صيغة (أفعل به) فقد لاقتْ من الاختلاف في تخريجها بين النحويين ما لاقته صيغة (ما أفعله).

والتعجب حاصل بها واقع في الذهن كما هو التعجب بالصيغة الأخرى، قال السقاف متعجباً مستعملاً هذه الصيغة :-

وألوِ بالظلمين وبعثِر[٦٥]

إذا أمعنا النظر في الفعل (ألو) نجده على صيغة فعل الأمر، والأسلوب هو أسلوب التعجب، فهل أفاد الفعل (ألو) الأمر أم لا؟

وللجواب عن ذلك نذكر ما قاله ابن عصفور في ذلك[٢]: (وحينئذٍ يبنى الأمر عليه فيقال : (لا أسمعْ بزيدٍ)) و (أبصر بعمرو) لأنه مبني من فعل لا يتعدى وفاعله ظاهر.

وقوع الظاهر فاعلاً للأمر بغير لام لما لم يكن أمراً في الحقيقة ،لأن فاعل الأمر ضمير مستتر وجوباً إن كان على صيغة أفعل وما أشبهها. بل المعنى الخبر والأمر قد يجيء بمعنى الخبر كما في قال تعالى ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾(مريم: من الآية٧٥) ، أي (فيمد له الرحمن مداً)[٦٦].

إذن (أفعِلْ) هو فعل ماضٍ لإنشاء التعجب على صيغة فعل الأمر مبني على السكون وليس فعل أمر كما زعم بعضهم.

---

[٦٥] شعر أحمد السقاف ، ٣٥٧.

[٦٦] المقرّب /٨٢-٨٣.

وأما (بالظالمين) فهو في موضع رفع بأنه فاعل، قال ابن يعيش[٦٧] : "وإنما قلنا أن المجرور في (أحسنْ بزيد) هو الفاعل لأنه لا فعل إلا بفاعل وليس معنا ما يصلح أن يكون فاعلاً إلا المجرور بالياء وهو الذي قد كرم وحسن فاللفظ محتمل والمعنى عليه لزمت الباء هنا لتؤذن بمعنى التعجب بمخالفة سائر الأخبار"، و (الظالمين) مجرور لفظاً بحرف الجر مرفوع محلاً لأنه فاعل (ألو).

وأخيرا نذكر بأن الجملة التعجبية هي نوع من أنواع الإنشاء غير الطلبي وإن صح فيها التصديق والتكذيب، فإذا قلنا (ما اكرم زيداً) يجوز فيه التصديق والتكذيب إلا أن الغرض منها إنشاء التعجب والمبالغة في المدح أو الذم.

(٦٧) المصدر نفسه ١٤٨/٧، وينظر حاشية الخضري ٣٩/٢.

المطلب الثالث / المدح والذم

المدح والذم:-

تعارف العرب على إطلاق ألفاظ تدل على المدح والذم سواء أكانت أفعالاً أو صفاتاً نحو مدح ، أثنى ، هجا، استقبح ، ذم ، كريم ، فاضل، عظيم، بخيل ، حقود جبان)) وهذه ألفاظ صريحة المعنى والدلالة واستعملوا تعبيرات وجملا حملت- مجازاً- معنى المدح والذم ، ونجد هذه التعبيرات المجازية عند السقاف في قوله :

صدام دع عنك هذا الغرور فليس للظلم انتصار

فالحق يا صدام منتصر وللبـــــغي اندحـــــار

هاجـمتنا ظلما ونحن الأوفـيـــاء ولا فـخـــــار

وزرعـــت كـــرها في القلـــوب مدمرا في كـــل دار

وعصفـت بالقيم الأصيـــلة وانهـــزمت في الاختبـــار[٦٨]

فجملتا (نحن الأوفياء ولا فخار) و (زرعت كرها في القلوب، وعصفت بالقيم الأصيلة) أعطتا معنى دلالياً عن تأصل فعل الشر في نفس صداموإهدار القيم الأصيلة المتمثلة في العروبة.

وقد استخدم الشاعر في ديوانه ألفاظا كثيرةً للتعبير عن المدح جاء بها بصيغ غاية في السبك كما في قوله مادحا شهيدات الكويت:

إيهِ شهيدات الكويت لقد زها بدمائكن الرمل والأحجار

---

[٦٨] نكبة الكويت، ٢١.

أنتن فخر للكويت وما الفدى إلا خلود ساطع وفخـــار

طالت رقاب الشعب منه تباهيا ورقاب من فتكوا بكن قصار

فلكن إعجاب الكرامة والندى ومن الإبـاء تحية معطـار[٦٩]

[٦٩] نكبة الكويت، ٣٣.

أفعال المدح والذم

نعم وبئس

أشهر ألفاظ المدح والذم هما (نِعْمَ وبِئْسَ)، وتدل نعم على المدح العام و(بئس) على الذم العام وهما موضوع دراستنا في هذا المبحث لإفادتهما الإنشاء فـ (نعم) للمدح والثناء المستحق الشافع في الجنس، كقولك نعمَ الرجلُ زيدٌ ، فهو مدح له بالحمد المستحق في جنس الرجال[٧٠].

وهناك خلاف حول (نعم وبئس) هل هما فعلان أم اسمان ؟ فذهب الكوفيون إلى أنهما اسمان، أمّا البصريون فقالوا: إنهما فعلان ماضيان غير متصرفين[٧١]. ومعناهما المبالغة في المدح والذم[٧٢]. وما يدل على أنهما فعلان، أنهما لا يقعان إلا على مضمر يفسره ما بعده والتفسير هنا لازم ، أو يقعان على معرفة بالأف واللام على معنى الجنس ويذكر بعد ذلك المقصود بالمدح او الذم[٧٣]، وفيهما لغات أصحها وأكثرها استخداما (نِعْم وبِئْس) بكسر فاء الفعل وسكون عينه[٧٤].

فقولنا (نِعْمَ الرجلُ زيدٌ) فالمدح قائم على هذا اللفظ (نعم) وليس موجوداً خارجاً في أحد الأزمنة، فليس المقصود مطابقة هذا الكلام إياه ليكون خبراً بل المقصود به مدحه على جودته الحاصلة خارجاً ، ولو كان إخباراً

---

(٧٠) حروف المعاني : ٣٦ .

(٧١) ينظر الانصاف في مسائل الخلاف : ٨٧/١ .

(٧٢) اللمع / ٩٨ ، وينظر : شرح المفصّل: ١٢٧/٧ .

(٧٣) ينظر المقتضب ١٤١/٢١، واللمع ٩٨ .

(٧٤) ينظر المقتضب ١٤٠/٢، البحر المحيط /٣٨٧/٥ وارتشاف الضرب ١٥،١٦/٣.

صرفا عن جودته خارجاً لدخله التصديق والتكذيب . إذًا (فنعم) فعل ماض جامد يقصد به إنشاء المدح العام والمبالغة فيه.

قال المبرد[٧٥]: " أما نعم وبئس فلا يقعان الا على معرفة بالالف واللام على معنى الجنس ثم يذكر بعدها المحمود والمذموم فأما ما كان معرفة بالألف واللام فنحو قولك نعم الرجلُ زيدٌ .... وبئس الدابةُ دابتك ، فالرجلُ والدابةُ مرتفعات بنعم وبئس لانهما فعلان يرتفع بهما فاعلاهما".

ولمخصوص المدح وجهان في الأعراب – إذا تأخر عن فعل المدح الأول: أن يكون مرفوعاً لانه خبر لمبتدا محذوف. والثاني: أن يكون مخصوص المدح مرفوعا بالابتداء وما قبله خبر عنه مقدم عليه[٧٦] .أما إذا تقدم مخصوص المدح على فعل المدح وهو الأصل فيعرب مبتدأ خبره الجملة التي بعده[٧٧]. وهذا مايفهم كذلك من قول ابن يعيش في اعراب (عبد الله) في قولنا ((نعمَ الرجلُ عبدُ الله)): ((أن يكون مبتدأ وما تقدم من قولك (نعم الرجل) هو الخبر وإنما أخر المبتدأ والأصل (عبد الله نعم الرجل) [٧٨].

ومما جاء في شعر السقاف من هذا الأسلوب قوله:

قـلنـا إنهـا سلـع فـبـئست هـذه السلـع[٧٩]

---

[٧٥] المقتضب : ١٤١/٢، وينظر : شرح اللمع /٤١٩/٢ .

[٧٦] ينظر اللمع /٩٩،شرح اللمع ٤١٦/٢-٤١٧، اسرار النحو/٢٥٩.

[٧٧] ينظر المقرب/ ٧٣.

[٧٨] شرح المفصل، ١٣٤/٧.

[٧٩] نكبة الكويت، ١٣.

وقوله:

ومـــاذا استفاد الأولى آزروه ويا بئس من معه قد وقفـت[٨٠]

وقوله:

بئس هذي الحياة إن ظل فيها ركبنا سائـــرا إلى غير مقصـــــــــد[٨١]

وقوله:

ذو جرأة يهدم أغلى المنى فبئس ما أعطى وتبت يدان[٨٢]

---

[٨٠] نكبة الكويت، ١٣.

[٨١] شعر أحمد السقاف، ٧٠.

[٨٢] شعر أحمد السقاف، ١٠٠.

المطلب الرابع/ الترجي

الترجي لغة:

الترجي في اللغة : (الأمل) و (التوقع) قال ابن منظور[٨٣]: الرجاء من الأمل نقيض اليأس ، وقد يكون بمعنى الخوف كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ﴿نوح:١٣﴾ نوح /١٣). وقال به مفسروها أي بمعنى لاتخافون من عظمته[٨٤].

ويأتي بمعنى الإشفاق والطمع، يقول الإستراباذي[٨٥] في الترجي: "ارتقاب شيء لا وثوق بحصوله ... فيدخل في الارتقاب (الطمع) و(الإشفاق) فـ (الطمع) ارتقاب شيء محبوب نحو : لعلك تعطيه، والإشفاق ارتقاب المكروه نحو (لعلك تموت الساعة)" ، وذكر أبو حيان الشيء نفسه في معنى عسى: (وأن عسى هنا افادت الإشفاق من توقع المكروه وهو القتال[٨٦]، فالترجي له عدة معان منها الإشفاق والأمل والتوقع والطمع .

أما الترجي في الاصطلاح : فهو طلب أمر محبوب ممكن حصوله مرغوب فيه ، قال سيبويه[٨٧]: "لعل وعسى طمع وإشفاق" وقال[٨٨] أيضاً : "إذا قلت لعل فأنت ترجوه أو تخافه في حال ذهاب"، وذكر المبرد أن معنى (لعل)

---

[٨٣] لسان العرب : مادة (رجا) .

[٨٤] ينظر جامع البيان ٢٦٤/٥، الكشاف ١٦٣/٤.

[٨٥] شرح الرضي على الكافية ٣٤٦/٢.

[٨٦] ينظر البحر المحيط ١٤٤/٢.

[٨٧] الكتاب ١٣٣/٤.

[٨٨] الكتاب ١٤٨/٢.

التوقع لمحبوب أو مكروه[٨٩] ، فالتوقع يكون في الأمر المحبوب ويسمى ترجيا، وهو ضرب من ضروب الإنشاء لأن المتكلم يعبر عن رغبته فيتوقع حصولها أو يرجح ذلك[٩٠]، فهو شاك في وقوعها راجياً لذلك واللفظ الموضوع للترجي هو (لعل) و (عسى).

أولاً: لعل:

قال ابن هشام في (لعل) :"حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر، قال بعض أصحاب الفراء وقد ينصبهما ، وزعم يونس أن ذلك لغةً لبعض العرب، وحكى (لعل أباك منطلقاً) وتأويله عندنا إضمار (يوجد)، وعند الكسائي على إضمار (يكون)، وقد مر أنّ عقيلاً يخفضون بها المبتدأ"[٩١] كقوله :-

فقلت ادع اخرى وارفع الصوت جهرةً لعل أبي المغوار منك قريب[٩٢]

ولعل في هذا الموضع خفضت الاسم الذي يليها على اعتبارها حرف جر، ولعل تفيد معنى التوقع، وهو ترجي المحبوب والإشفاق من المكروه نحو : (لعلَ الحبيبَ قادمٌ) و (لعل الرقيبَ حاصلٌ) وتختص بالممكن كقول السقاف:

تروي الأحاديث عنهم ألف معجزة لعل من بعضها البرديَّ والقصبا[٩٣]

أفادت (لعل) معنى ترجي حصول الأمر المحبوب من غير تعليل، وقد عد النحويون لـــ (لعل) معنى يفيد التقليل مع الرجاء كما في قوله تعالى ﴿وَالْقُرْ

---

[٨٩] المقتضب ٣/٧٣.

[٩٠] ينظر الاساليب الانشائية/ ٥٠ ، ونحو المعاني /١٤٧.

[٩١] مغني اللبيب ١/٢٨٦.

[٩٢] البيت لكعب بن سعد كما في الأصمعيات/٩٦.

[٩٣] شعر أحمد السقاف، ص١٩.

﴿لعلكم تفلحون﴾﴿البقرة:من الآية١٨٩﴾ وقوله تعالى : ﴿لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون﴾﴿يوسف: من الآية٤٦﴾ وإفادة التعليل تفيد الخبر وليس الإنشاء[٩٤]، ولم نجد لها معنى التعليل في شعر السقاف سوى انها للترجي كما في قوله :

لعل فتاة قد سبتك بدلّها فأنت ترى حفظ العهود من الشيم[٩٥]

ويحصل الترجي بأفعال الرجاء (عسى ، حرى ، اخلولق) وكل فعل منها يدل على ترقب الخبر والأمل في تحقيقه ووقوعه.

ولم يرد من هذه الأفعال في شعر السقاف سوى (عسى) في قوله :-

شعبَ العراق الحر ماذا عسى أن يكتب الشاعر في ذا الزمانْ [٩٦]

وقوله:

فعسى البناء يظل مزدريا لغة الخيال وبهرج المظهر[٩٧]

وقوله:

وعسى النسور بألف ما حقةٍ تمحو خرافة معتـد مغتـر [٩٨]

واستعمل (عسى) وهو فعل مطلق لا حرف ، قال المبرد[٩٩]: "في الأفعال التي تسمى أفعال المقاربة)، فمن تلك الأفعال (عسى) وهي لمقاربة الفعل" . وقال ابن

---

[٩٤] ينظر شواهد التوضيح والتصحيح ١٩٨/ مغنى اللبيب/٢٨٨/١ ، الاساليب الانشائية ٥١-٥٢.

[٩٥] شعر أحمد السقاف، ص٣٢٢.

[٩٦] شعر أحمد السقاف، ص٩٩.

[٩٧] شعر أحمد السقاف، ص٢٣٠.

[٩٨] شعر أحمد السقاف، ص٢٣١.

[٩٩] المقتضب ٦٨/٣.

جني[١٠٠] في اللمع :"اعلم أن (عسى) فعل ماضٍ غير متصرف، ومعناه المقاربة وهو يرفع الاسم وينصب الخبر ككان إلا أن خبره لا يكون إلا فعلا مستقبلا وتلزمه (أن)، وذلك قولك : عسى زيد أن يقوم ، وعسى جعفر أن ينطلق ، قال الله سبحانه ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾﴿المائدة: من الآية٥٢﴾" ، وتفيد عسى مقاربة ذات الفعل بتراخٍ، وفيها لغتان عسَى وعسِىَ إذا هشام أنّ مذهب الكوفيين كان فاعلها مضمرا ، ولايجوز فيها الا الفتح اذا كان ظاهرا[١٠١]، وذكر ابن في عسى أنها حرف درج بمنزلة (لعل)، وتبعهم على ذلك ابن السراج، والصحيح أنها فعل مطلقا لا حرفا[١٠٢]. كذلك تأتي عسى ناقصة، وتأتي تامة، ومايهمنا في هذا الموضوع مجيئها مجيئها تامة؛ لأنها في هذا البيت جاءت تامة وأسندت إلى أن والفعل، ويرى النحويون أنها تكون فعل تام، ويشبه (كان) التامة، وأن والفعل في محل رفع فاعله، وهي تامة لاستقلالها بمرفوعها ولا تحتاج إلى خبر ، قال السكاكي[١٠٣]: "كثيرا ما يُجعل أن مع الفعل المضارع فاعلها فتستغني إذ ذاك عن التصريف وتتم به كلاما"، وقال ابن هشام[١٠٤]: "أنها عند ابن مالك ناقصة أبدا وسدت هي وصلتها مسد الجزأين".

---

(١٠٠) اللمع ١٠٠ ، وينظر شرح اللمع ٤٢٢ – ٤٢٤ ، المقرب ١١٠ ، مشكل اعراب القران لمكي بن ابي طالب١/ ٢٢٨ –٢٢٩ .

(١٠١) ينظر شرح الجمل ٢ / ١٧٦ – ١٧٧ .

(١٠٢) ينظر شرح قطر الندى ٣٤ ، مغني اللبيب ١ / ١٥١ ، وينظر كشف المشكل ١/ ٣٤٧ .

(١٠٣) مفتاح العلوم / ٤٦ .

(١٠٤) ينظر مغني اللبيب ١/ ١٥٢ .